الغريب القرآني ومناهج التصنيف فيه

د. لمات محمد المختار القاسم
أستاذ بمركز تكزين العلماء موريتانيا
عضو هيئة العلماء الموريتانيين
عضو لجنة الإشراف بدار المصحف الشريف
موريتانيا

الملخص:

يتناول البحث مفهوم **الغريب القرآني** ومناهج التأليف فيه، موضحاً أن الغريب هو ما خفي معناه من ألفاظ التنزيل واحتاج إلى بيان بالرجوع إلى لسان العرب، وهو أمر نسبي يختلف باختلاف معارف الناس وسليقتهم اللغوية التي تأثرت باتساع الفتوحات واختلاط الألسن. كما يستعرض العمل مسارين رئيسيين في التصنيف: الأول يعتمد **الترتيب حسب ورود الآيات في المصحف** كصنيع علي بن أبي طلحة وأبي عبيدة، والثاني يعتمد **الترتيب المعجمي الهجائي**، سواء بحسب ظاهر اللفظ دون تجريد كالسجستاني، أو وفق الجذور الأصلية للكلمات بعد تجريدها كما فعل الهروي والراغب الأصفهاني.

© المؤلفون. مرخص بموجب Creative Commons Attribution-Non Commercial 4.0 (CC BY-NC 4.0) — يُسمح بإعادة الاستخدام غير التجاري مع نسبة المصدر
https://creativecommons.org/licenses/by-nc/4.0/

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون، بلف الرسالة، وأدى الأمانة، ونصح الأمة، وكشف الله به الغمة، فجزاه الله خير ما جازى نبيا عن أمته.

هذا وقد أردت في هذا المكتوب المعنون:(الغريب القرآني ومناهج التصنيف فيه) التعرض لمفهوم الغريب القرآني من حيث الدلالة اللغوية والاصطلاحية مع بيان أهم مناهج التصنيف فيه، وذلك من خلال محورين اثنين:

المحور الأول: مفهوم الغريب القرآني

المحور الثاني: مناهج التصنيف في الغريب القرآني

راجيا من الله سبحانه وتعالى التوفيق لما يحب ويرضى وأن يرزقني الإخلاص في القول والعمل، إنه سميع مجيب، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا إلى يوم الدين.

المحور الأول: مفهوم الغريب القرآني

أ) تعريف الغريب:

. لغة

مادة الغين والراء والباء "غرب" تفيد البعد، والغريب: البعيد، واغترب الرجل: نكح في الغرائب وفي الحديث: {اغتربوا ولا تضووا}[1] أي لا يتزوج الرجل قريبته فيجيء ولده ضاويا[2].

وغرب الكلام غرابة: غمض وخفي فهو غريب والجمع غرباء وهي غريبة والجمع غرائب، وأغرب في كلامه: أتى بالغريب البعيد عن الفهم وأغرب في الأرض: أمعن فيها وسافر سفرا بعيدا [3].

. الغريب اصطلاحا:

قال الزجاجي: "الغريب ما قل استعماله من اللغة ولم يدر في أفواه العامة كما دار في أفواه الخاصة كقولهم: صمكت الرجل أي لكمته وقولهم للشمس يوح".

وذلك أن الكلام على وجهين كما قال الخطابي:

أحدهما: أن يراد به بعيد المعنى وغامضه الذي لا يتناوله الفهم إلا عن بعد ومعاناة فهم.

---

[1]) النهاية في غريب الحديث والأثر/ أبو السعادات بن محمد الجزري تحقيق طاهر الزاوي ومحمود الطناحي، المكتبة العلمية بيروت 1399 هـ "ضوى".

[2]) أي نحيفا هزيلا ... اللسان"ضوي".

[3]) تاج العروس/ مرتضى الزبيدي تحقيق مجموعة من المحققين، دار الهاية دون تاريخ طبع مادة:"غرب".

© المؤلفون. مرخص بموجب Creative Commons Attribution-Non Commercial 4.0 (CC BY-NC 4.0) — يُسمح بإعادة الاستخدام غير التجاري مع نسبة المصدر
https://creativecommons.org/licenses/by-nc/4.0/

ثانيهما: أن يراد به كلام من بعدت به الدار من شواذ قبائل العرب فإذا وقعت إلينا الكلمة من لغتهم استغربناها وإنما هي كلام القوم وبيانهم[1].

وذهب ابن الهائم المصري إلى أن الغريب يقابله المشهور وهما أمران نسبيان فرب لفظ يكون غريبا عند شخص يكون مشهورا عند آخر[2].

ب) تعريف القرآن:

. لغة

القرآن مصدر مرادف للقراءة، ومنه قوله تعالى:{إن علينا جمعه وقرآنه}[القيامة 17] ثم نقل من هذا المعنى المصدري وجعل اسما لكلام الله المعجز المنزل على رسوله محمد صلى الله عليه وسلم من باب إطلاق المصدر على مفعوله، فهو مصدر قرأ يقرأ قراءة وقرآنا قال الشاعر:

ضَحَّوْا بأشْمَط عنوان السجود به يُقطِّع الليل تسبيحا وقرآنا

أي قراءة، وذهب بعضهم إلى أن القرآن مشتق من القرء الذي هو الجمع لأنه يجمع السور كما يجمع الأمر والنهي والوعد والوعيد ...إلخ

وذهب الإمام الشافعي إلى أن القرآن اسم علم غير مشتق خاص بكلام الله تعالى[3]

. القرآن اصطلاحا: عرفه الأصوليون والفقهاء القرآن عدة تعريفات متقاربة، منها :"أنه كلام الله المنزل على رسوله محمد صلى الله عليه وسلم المعجز بنفسه المتعبد بتلاوته"[4].

وهذا التعريف يشمل قيودا أربعة:

أولا: أنه كلام الله حقيقة، وهو اللفظ والمعنى جميعا، قال تعالى:{وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله ثم أبلغه مأمنه}[التوبة 6].

ثانيا: أنه منزل من عند الله تعالى، نزل به جبريل عليه السلام على محمد صلى الله عليه وسلم قال تعالى:{نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين بلسان عربي مبين}[الشعراء 193. 195].

---

[1]) مجلة المنار/ محمد رشيد رضا 273/22.

[2])التبيان في تفسيرغريب القرآن/ ابن الهائم المصري أحمد بن محمد، تحقيق الدكتور فتحي أنور، دار الصحابة للتراث القاهرة، ط الأولى 1992 م ص: 485

[3]) مناهل العرفان في علوم القرآن/ محمد عبد العظيم الزرقاني، ط الأولى 1424هـ دار الكتب العلمية بيروت لبنان، 1/ 20 وما بعدها.

[4]) إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول / محمد بن علي الشوكاني تحقيق أحمد عزو ، دار الكتاب العربي دمشق ط :الأولى 1419هـ 86/1.

© المؤلفون. مرخص بموجب Creative Commons Attribution-Non Commercial 4.0 (CC BY-NC 4.0) — يُسمح بإعادة الاستخدام غير التجاري مع نسبة المصدر
https://creativecommons.org/licenses/by-nc/4.0/

ثالثا: كونه معجزا، وخرج بذلك الأحاديث القدسية بناء على أن لفظها من عند الله تعالى فإنها ليست للإعجاز، وأيضا لم يتعبد بتلاوتها.

رابعا: كونه متعبدا بتلاوته، لتخرج بذلك الآيات المنسوخة لفظا سواء نسخ حكمها أو لم ينسخ، لأنها صارت بعد النسخ غير قرآن لسقوط التعبد بتلاوتها فلا تعطى حكم القرآن.

ج . تعريف الغريب القرآني

هو اللفظ من القرآن الكريم يخفى معناه ويبهم على القارئ والمفسر، فيحتاج إلى توضيح معناه وبيان مرماه بما جاء في لغة العرب وكلامها، يقول أبو حيان الأندلسي: "ألفاظ القرآن على قسمين قسم يكاد يشترك في معناه عامة المستعربة وخاصتهم كمدلول السماء والأرض وفوق وتحت، وقسم يختص بمعرفته من له اطلاع وتبحر في اللغة العربية وهو الذي صنف أكثر الناس فيه وسموه غريب القرآن"[1].

فالغريب المنسوب إلى القرآن غريب نسبي، وليس غريبا مطلقا، والقرآن في عصر الخلافة الراشدة كان معروفا لدى الصحابة، ولم يغب عنهم فهم ألفاظه من حيث الدلالة اللغوية البحتة، والذي خفي على بعضهم هو بعض ألفاظه، وكان سبب الخفاء فيها أنها نزلت بلهجة أخرى غير لهجة قريش، أو أنها مستعارة من لغة أخرى غير اللغة العربية.

وعلى هذا ما جاء عن بعضهم أن قائلا قال له: أسألك عن حرف من الغريب فقال: هو كلام القوم إنما الغريب أنت وأمثالك من الدخلاء.

وقد انصب اهتمام العلماء بالغريب فصنفوا فيه التصانيف المفيدة، وتفاوتوا في ذلك ولم ينظروا إليه نظرة واحدة، بل كان بعضهم يذكر ألفاظا على أنها من الغريب، ويهملها الآخر لأنها عنده من المشهور الذي لا غرابة فيه ولا يحتاج إلى تفسير لأن الغريب أمر نسبي، فقد يكون اللفظ غريبا عند شخص مشهورا عند آخر والعكس.

مناهج التصنيف في غريب القرآن

كان الناس يسألون رسول الله صلى الله عليه وسلم عما أشكل عليهم من كتاب الله فيفسره لهم أبين تفسير، ويبينه لهم أحسن تبيان؛ لأن وظيفته البيان كما قال تعالى: {وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم ولعلهم يتفكرون} [النحل 44].

وقال تعالى: {وما أنزلنا عليك الكتاب إلا لتبين لهم الذي اختلفوا فيه} [النحل 64]، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم:(ألا وإني أوتيت القرآن ومثله معه)[2] .

وبعد لحاقه بالرفيق الأعلى كان الناس يسألون علماء الصحابة عما أشكل عليهم من كتاب الله فيبنونه لهم كما بينه لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم، إلا أنه وبعد أن كثرت الفتوحات ودخل الناس في دين الله أفواجا وامتزج غير العرب بالعرب بدأت السليقة العربية تضعف، فاحتيج إلى تفسير ما من شأنه أن يخفى على بعض الناس، فاتجهت همم العلماء صوب هذا العلم، فكتبوا فيه كتبا كثيرة، وصنفوا فيه مصنفات شهيرة، وقد انتهجوا في ذلك طريقتين اثنتين:

---

[1]) تحفة الأريب بما في القرآن من الغريب ص: 40

[2]) مسند الإمام أحمد الحديث رقم:(16546)، مصدر متقدم

© المؤلفون. مرخص بموجب Creative Commons Attribution-Non Commercial 4.0 (CC BY-NC 4.0) — يُسمح بإعادة الاستخدام غير التجاري مع نسبة المصدر
https://creativecommons.org/licenses/by-nc/4.0/

الطريقة الأولى: ترتب الكلمات حسب ورودها في المصحف، وهي الطريقة الأقدم التي سلكها علي بن أبي طلحة في صحيفته، وقد درج على هذه الطريقة أغلب المصنفين في غريب القرآن الكريم كزيد بن علي (ت 120 هـ) وأبي عبيدة (ت 210 هـ)، وأبي عبد الرحمن اليزيدي (ت 237 هـ). وغيرهم.

الطريقة الثانية: ترتب الألفاظ وفق حروف الهجاء "الألفبائي" وسار على هذا المنهج المؤلفون الآخرون، وقد اتخذت هذه الطريقة صورا مختلفة، وأشكالا متعددة اشتهر منها صورتان.

الصورة الأولى: ترتيب الألفاظ وفق حروف الهجاء لجميع حروف الكلمة دون تجريدها من الزوائد، وعلى هذه الصورة جرى أبو بكر بن عزيز السجستاني (ت 330 هـ)

ولم يتابع السجستاني في منهجه هذا أحد من المصنفين في معاجم الألفاظ القرآنية سوى مصطفى بن حسين الذهبي (ت 280هـ) في شرحه لألفية الحافظ العراقي (ت 806هـ)[1].

الصورة الثانية: ترتيب الألفاظ وفق حروف الهجاء مع مراعاة الحرف الثاني والثالث إن كان، وجرى على هذا النهج أبو عبيدة الهروي (ت 401هـ) في كتابه في غريب القرآن والحديث الموسوم بكتاب "الغريبين" .

ثم سار على هذا المنهاج الراغب الأصفهاني (ت 502هـ) في كتابه المفردات فرتب الألفاظ على حروف المعجم بعد أن جردها من الزوائد، فبدأ بحرف الهمزة وملأه بالكلمات التي تبدأ بحرف الهمزة ثم رتبها داخل الباب مراعيا ترتيب الحرف الأول ثم الثاني ثم الثالث غالبا، وقد صرح بهذا النهج في مقدمة الكتاب [2].

هذه أشهر أنواع التصنيف في علم غريب القرآن، والله الموفق الهادي إلى سواء السبيل، وصلى الله وسلم على نبينا محمد.

---

[1]) المعجم العربي 39/1.

[2]) المفردات / الراغب الأصفهاني تحقيق محمد سيد كيلاني ، دار المعرفة لبنان . ص: 55.

© المؤلفون. مرخص بموجب Creative Commons Attribution-Non Commercial 4.0 (CC BY-NC 4.0) — يُسمح بإعادة الاستخدام غير التجاري مع نسبة المصدر
https://creativecommons.org/licenses/by-nc/4.0/

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم
- إبراهيم مصطفى . أحمد الزيات . حامد عبد القادر . محمد النجار (المعجم الوسيط) تحقيق مجمع اللغة العربية دار الدعوة.
- ابن الهائم المصري / شهاب الدين أحمد بن محمد "ت 815 هـ " (التبيان في غريب القرآن) دار الصحابة للتراث بطنطا القاهرة الطبعة الأولى 1992 م، تحقيق د. فتحي أنور الدابولي.
- ابن جزي / محمد بن أحمد الغرناطي "ت741 هـ " (التسهيل في علوم التنزيل) دون تحديد مكان الطبع.
- ابن دريد (الاشتقاق) تحقيق عبد السلام هارون ، مكتبة الخانجي القاهرة، الطبعة الثالثة .
- ابن سيده / أبو الحسن علي بن إسماعيل "ت 458 هـ " (المحكم والمحيط الأعظم) تحقيق عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية بيروت 2000م.
- ابن سيده (المخصص) دار إحياء التراث العربي بيروت الطبعة الأولى 1417 هـ تحقيق خليل إبراهيم.
- ابن فارس / أبو الحسين أحمد بن فارس"ت 395 هـ " (مقاييس اللغة) تحقيق عبد السلام هارون اتحاد الكتاب العرب الطبعة 1423 هـ .
- ابن قتيبة /أبو محمد عبد الله بن مسلم "213 هـ " (أدب الكاتب) تحقيق محي الدين عبد الحميد ، المكتبة التجارية مصر، الطبعة الرابعة 1963 م.
- أبو حيان / محمد بن يوسف بن حيان "ت 745هـ " (البحر المحيط)، دار الكتب العمية بيروت لبنان 1422 هـ . الطبعة الأولى.
- البخاري / أبو عبد الله محمد بن إسماعيل " 256هـ " (الجامع الصحيح المسند من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه)، تحقيق د. مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير اليمامة بيروت الطبعة الثانية 1407 هـ .
- ولد مولاي د. محمد ولد سيدي محمد (التفسير والمفسرون في بلاد شنقيط)، دار يوسف بن تاشفين، الطبعة الأولى 1429 هـ .

© المؤلفون. مرخص بموجب Creative Commons Attribution-Non Commercial 4.0 (CC BY-NC 4.0) — يُسمح بإعادة الاستخدام غير التجاري مع نسبة المصدر
https://creativecommons.org/licenses/by-nc/4.0/